PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

مواقع التواصل الإجتماعي كمؤسسة من مؤسسات إنتاج الخطاب في المجال العمومي الميدياتيكي بين الإتيقا والفعل السياسي في الآغورا الإفتراضية

Social networking sites as one of the institutions producing speech in the public mediatic sphere between etiquette and political action in the hypothetical agora

خومري ياسمينة

[1] المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الإعلام (الجزائر)، khoumeri.yasmina@ensjsi.dz

مخبر وسائل الإعلام والإستخدامات الإجتماعية والتواصل (MUSC)

تاريخ الإستلام: 24/ 08 / 2021 **تاريخ القبول**: 24/ 09 / 2021 **تاريخ النشر**: 24/ 10 / 2021

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز آليات التناول النظري والتطبيقي وإبراز كيفية الأداء البحثي بالتزام الشروط والقواعد المنهجيّة من أجل تسليط الضّوء على النظرة الجديدة للمجال العمومي على ضوء إتسّاع الإستخدام الإجتماعي للأنترنت، إذ ساد الإعتقاد بأنّ هذه الأخيرة أحدثت إنقلابا في المعمار الأوليغارشي للمجال العمومي التقليدي،وأجرت تغييرا على إحدى قواعده. بحيث أفادت بأنّ النأي عن "نظرية القذيفة السحريّة"لمواقع التواصل الإجتماعي أي "الحتمية التكنولوجية" يقتضي تجنّب الإعتقاد بقوّة هذه المواقع المحايثة التّي تمكنّها من إنشاء مجال عمومي أو هدمه، ويتّطلب فهم نشاط هذه المواقع ضمن شروط وسياقات استخداماتها، لذا من الصّعب فصلها عن تقاليد الاتصال المتوارثة عبر الأجيال وعن التّاريخ السّياسي لهذه البلدان، الذّي يؤكّد غياب ثقافة الحوار والنقاش والحجاج أي أنّ الأطر التمثيليّة لم تبلغ مستوى الحلبة التّي يدار فيها النقاش بكلّ ديمقراطيّة ويتّم التداول حول الآراء التّي تتصادم بحججها المتعارضة، لذا نجد بأنّ مواقع التواصل الإجتماعي قد أفلحت في ابتكار أشكال للتّكافل الإجتماعي والتّعاون، وتخريب الخطاب السياسي والإعلامي الرسمي دون أن تفلح في بناء مجال عمومي معارض.

الكلمات المفتاحية: الأنترنت؛إنتاج الخطاب؛ الآغورا الإفتراضية؛ مواقع التواصل الإجتماعي؛ المجال العمومي الميدياتيكي؛الفضاء العمومي.

Abstract:

This study aims to highlight the mechanisms of theoretical and applied approach and to highlight the method of research performance by adhering to methodological conditions and rules in order to shed light on the new view of the public sphere in light of the expansion of the social use of the Internet, as it was believed that the latter had brought about a revolution in the oligarchic architecture of the traditional public sphere, and brought about a change On one of his rules. It stated that distancing itself from the `` magic shell theory " of social networking sites, meaning the `` technological determinism ", requires avoiding believing in the power of these neutrals that enable them to create or destroy a public domain, and it requires an understanding of the activity of these sites within the terms and contexts of their use. It is difficult to separate it from the communication traditions inherited across generations and from the political history of these countries, which confirms the absence of a culture of dialogue, debate and pilgrims, meaning that the representative frameworks have not reached the level of the arena in which the debate is conducted in a democratic way and discussions are held about opinions that clash with their conflicting arguments, so we find that social media sites It has succeeded in devising forms of social solidarity and cooperation, and sabotaging the official political and media discourse without having succeeded in

ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

building an opposition public sphere.

Keywords: *The Internet; speech production; Hypothetical agora; Social Media; The public mediatic sphere; the public space.*

I. مقدمة

لقد بات واضحا بأنّ القوى السياسيّة المتدافعة على السّلطة في المجتمعات الديمقراطيّة، قد أدرجت مواقع التواصل الإجتماعي في إستيراتيجيتها الإتصاليّة،خاصّة في المحطّات السياسيّة الحاسمة،بيد أنّ الحقيقة لم تمنع بعض الكتّاب من التقليل من التفاؤل بإسهام هذه المواقع في صياغتها مجالا عموميّا جديدا،إذ يعتقدون أنّها لا تزال بعيدة عن المثل الديمقراطيّة لأنّها تحوّلت إلى أداة وحلبة للسّوق الكوني فأخضعت النشاط الإعلامي والإتصالي ككلّ إلى المنطق المركنتيلي،وهو ما تؤكّده زيادة الإعتماد على المؤثرين في المنتديات والمدوّنات الإلكترونيّة ومواقع التواصل الإجتماعي لتغيير سلوك المستهلكين.

ويرىDahlgren (Dahlgren,1994,60) أنّ المجال العمومي لا يوجد في حالة ثابتة وساكنة ،وإنّما يخضع لحزمة من التغيّرات المرتبطة بالتحوّلات في البيئة الإجتماعيّة والنماذج الثقافيّة والمشهد الإعلامي،وأنّ هذا المشهد يتشكّل من تفاعل وسائل الإعلام التقليديّة ومواقع التواصل الإجتماعي ،ومن السّديم الذّي تنتجه وسائل الإعلام الهجينة التّي تلتقي فيها وسائل الإتصال الجماهيري الذاتيّة.

يمكن أن نلتمس القاسم المشترك الذّي يجمع المؤمنين بأنّ وسائل الإعلام التقليديّة أو مواقع التواصل الإجتماعي عملت على تشكيل المجال العمومي وفق النموذج اللّيبرالي بالذّين يعتقدون بأنّها عملت على تقويضه وفق النموذج ذاته،يتجسّد هذا القاسم المشترك في تمثُّل وسائل الإعلام كوسائط للفعل السياسي وكمجال لإدارة النقاش العمومي في المجتمع(Dahlgren,2000, 169-167) ،هذا وإن كان البعض مثل Dahlgren لايرى وسائل الإعلام في علاقتها بالمجال العمومي إلاّ ضمن ما يسّميه بالشروط التاريخيّة الجديدة لوجوده.

وتأسيسا على ماذكر نطرح الإشكالية التالية:

هل تعتبر مواقع التواصل الإجتماعي كمؤسسة من مؤسسات إنتاج الخطاب فضاءا يوفّر نمطا إتصاليا جديدا وأرضية لأفق إيتيقي يتّم فيه تبادل الحوار حول القضايا المطروحة للنقاش؟

ولمعالجة الإشكالية المطروحة، إلتزم المقال بالمحاور التالية:

أوّلا: مواقع التواصل الإجتماعي كمؤسسة من مؤسسات إنتاج الخطاب في المجتمع.

ثانيا:المجال العمومي الميدياتيكي.

ثالثا:إعادة تمثّل مفهوم الفضاء العمومي في ديناميكيته الإجتماعية.

رابعا: السياق الإتصالي والفعل السياسي للمستخدم الجزائري.

كما إلتزم المقال بما دعا إليه الباحث روني ديكارت René Descartes في كتابه الموسوم بـ:"خطاب المنهج" Le discours de la méthode الذّي ألّفه سنة 1632م، بحيث دعا إلى إحترام بعض القواعد لتأمين الطّابع الموضوعي فيما نبحث، وبخاصة ما سوف نبنيه ممّا نبحث، وعدم قَبول الأفكار قبل أن تفرض نفسَها علميّا ومنهجيّا، بحيث إعتمدت الدراسة وفقا لما تمليه طبيعة الإشكالية المطروحة على المنطق الإستقرائي معتمدا على البحث الأفقي المكثّف للظاهرة والذّي لا يتأتى إلاّ على مستويين:

-المستوى الأوّل: ويستهدف من البحث كشف المتغيّرات ذات الدور الأساسي في الوضعية محلّ التحليل.

-المستوى الثاني: ويتّم من خلاله حصر العلاقات القائمة بين المتغيّرات التّي تمّ اكتشافها في المستوى البحثي الأوّل.

وتؤدي بنا الخطوات السالفة الذكر إلى ضبط التصور العام لإشكالية هذا المقال، بيد أنّه يبقى علينا تحديد المنهج وكذا أدوات البحث، وعلى حدّ تعبير فستينجر و كاتز فإنّه مهما كان موضوع البحث، فإنّ قيمة النتائج تتوقف على قيمة المناهج المستخدمة، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة عل منهج تحليل المحتوى السيميولوجي، الذّي يقوم على مبادئ التحليل المحايث أي البحث في الشروط المساهمة في إنتاج الدلالة،والتحليل البنيوي الذّي يستخلص المعنى بناءا على الإختلاف وتحليل الخطاب من خلال البعد التداولي، إلى جانب منهج المسح الاجتماعي الذّي يمثّل الطريقة العلميّة التّي تمكّن الباحث من التعرف على الظاهرة المدروسة ،من حيث العوامل المكوّنة لها ،والعلاقات السائدة داخلها كما هي في الحيّز الواقعي وضمن ظروفها الطبيعيّة غير المصطنعة (بن مرسلي،2004،286-287).

كما اعتمدنا على أداة تحليل المضمون حيث يعرّف هارولد لاسويل هذه الأداة ،بأنّها:"أسلوب يهدف إلى الوصف الدقيق والمحايد لما يقال عن موضوع معيّن في وقت معيّن"،ويتفّق معه برلسون Berlson في قوله بـ"أنّ تحليل المضمون هو أسلوب البحث الذّي يهدف إلى وصف المحتوى الظاهر للإتصال،وصفا موضوعيّا ومنهجيّا وكميّا"(طعيمة ، 1989 ، 22).

أولا: مواقع التواصل الإجتماعي كمؤسسة من مؤسسات إنتاج الخطاب في المجتمع:

يعتبر ظهور الشّبكة العنكبوتيّة "الأنترنت" في بداية التسعينيّات حدثا بارزا وهذا لما أحدثته من تأثيرات في مجالات متّعددة إجتماعيّة،إقتصاديّة،سياسيّة وثقافيّة،مرفقة بتغييرات مسّت الخريطة الإتصاليّة والإعلاميّة خاصّة بعد ظهور تطبيقات آليّة،تعديلها ومشاركتها مع باقي المستخدمين ، واب 2.0، والتّي خلقت بدورها فضاءات سيبرانيّة جديدة لمستخدمي الأنترنت،حيث أتاحت لهم المساهمة في صنع وبناء المضامين الإتصاليّة، وبالتّالي الإنتقال من إستهلاك هذه المضامين إلى المشاركة ،ومن القراءة إلى القراءة و الكتابة (read-write web) .

1.ظهور الأنترنت بين الإشكاليات الأكاديمية وبناء وصنع المضامين الإتصاليّة الرقميّة:

نشرت مجلة " The Time magazine" في 25 ديسمبر 2006 ،مقالا لـ :Lev GROSSMANS ،عنوانه :"شخصية هذا العام هو أنت"،إعترافا بدور "أنت" "المستخدم" كشخصية إستثنائيّة قاصدا المستهلك الإفتراضي الحديث Modern Virtual Consummer ،تعبيرا عن التّحولات التّي حدثت في الواب والمتمثّلة في صيغة بناء المضامين الإتصاليّة على الأنترنت.

وقد نشرت كذلك جريدة The Economist في 02 أفريل 2005،مقالا تحت عنوان Growned at last(تؤُج أخيرا) تحدثّ الموضوع عن تأثير نوع جديد من تطبيقات الأنترنت في تشكيل صنف جديد من المستهلكين الذّين أصبحوا يدمجون الواب في حياتهم بشكل تصاعدي (Efthymios Constantinides and Stefan J.Fountain (2008,231, ، ويعتبر Tim O'Reilly مبتكر هذا المصطلح سنة 2005،غير أنّ أصل الفكرة كان قد ناقشها

Data Doughertg من شركة O'Reilly Media و Craig Ching من شركة Media Live سنة 2004 في محادثات كانت جارية عن ملامح مستقبل الواب،بينما استخدم Tim O'Reilly المصطلح ليصف الموجة الثانيّة من جيل الأنترنت.

وبعد ظهور مصطلح الواب 2.0،قامت العديد من الإشكاليات الأكاديميّة حوله،حيث إعتبر البعض هذا المصطلح مجّرد تسمية لتّطور الإتصال عبر الأنترنت ،واصفا المستوى الثّاني الذّي وصل إليه التشبيك والتفاعل عبر الأنترنت،وظلّت حقيقة المصطلح ومعناه الدقيق غامضة دون توضيح ولا تفريق بين التطبيقات والخدمات التّي تنتمي أو لا تنتمي إلى الواب 2.0.ومن بين أكثر تطبيقات الواب إنتشارا هي "مواقع التواصل الإجتماعي"التّي أتاحت بخدماتها وميزاتها مجموعة واسعة من عمليات بناء وصنع المضامين الإتصاليّة الرقميّة.

2.البناء المفاهيمي لمواقع التواصل الإجتماعي:

يُنظر إلى مواقع التواصل الإجتماعي على أنّها منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التّي تسمح للمشترك فيها بإنشاء حساب خاص به ومن ثمّ ربطه من خلال نظام إجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الإهتمامات والهوايات،وسُميّت إجتماعية لأنّها أتت من مفهوم "بناء المجتمعات"،بهذه الطريقة يستطيع المستخدم التعرف إلى أشخاص لديهم إهتمامات مشتركة في شبكة الأنترنت والتّعرف على المزيد من المواقع في المجالات التّي تهمّه (وائل مبارك خضر فضل الله،2010، 06).

وهي النظرة التّي تقودنا إلى إعتبار الشبكات الإجتماعيّة كائنا سوسيولوجيا قبل أن تكون كائنا سيبرنيطيقيّا ،كونها بنية تعاونيّة بدأت وتطّورت بفعل جهود الأفراد المكوّنين لها،وتعتبر هياكل للتعاون والتواصل والتفاعل بينهم لتعزيز العلاقات بين احتياجات ممثّليها،لأنّها تحالف بين الأفراد أو المنظمات يتضمّن تعبئة مواردها وقدراتها المشتركة لدعم موقفها وزيادة تأثيرها الخارجي بهدف تحقيق مصالح وأهداف مشتركة،مع الحفاظ على استقلالية كلّ عضو فيها،ويمكن أن تتكوّن على أساس جغرافي قبلي،كما يمكن أن تتخطى المحاور المحليّة أو القوميّة لتشمل العالم ككلّ.

1.2. المفهوم التقليدي لمواقع التواصل الإجتماعي:

نجد أنّ مفهوم "مواقع التواصل الاجتماعي"،قد تمّت مناقشته والتعرض إليه بالدراسة في العديد من الحقول البحثيّة كالسوسيولوجيا،الأنثروبولوجيا،الرياضيات وحديثا علم الحاسوب،وقد كان أوّل استخدام لهذا المفهوم مجازيا قبل أن يتّم إعطاؤه بعدا تحليليّا مع إبتكار المنهج السوسيو-متري –القياس الإجتماعي- Sociometry method الذّي يتيح تحليل الشبكات الإجتماعيّة الكلاسيكيّة بتمثيلها عن طريق بيانات خطيّة لوحدة اجتماعيّة أو مجموعة ما وعلاقتهم بوحدات أو مجموعات أخرى حيث يظهر الأفراد في شكل نقاط التقاء والعلاقات التّي تربط بينهم في خطوط .

قام Jacob Moreno - متخصص في علم النفس مع الباحثة Helen Hall Jennings ،وهذا سنة 1934 بتفسير كيف تؤثر العلاقات الاجتماعية على الراحة النفسيّة؟ وطوروا تقنية السوسيومتري كمنهجية كميّة لدراسة بنية المجموعات ووضعية الأفراد داخل هذه المجموعات ،وقد استخدمت المقاربة بيانات خطيّة سوسيولوجيّة بتمثيل رسومات مرئيّة للأفراد أو لأيّ وحدة اجتماعية وعلاقتهم بالآخرين داخل المجموعة ،حيث يتمثّل الأفراد في نقاط والعلاقات التّي تربطهم في خطوط. أنشأ مورينو قاموسا للمصطلحات الشبكيّة لازال يستخدم

لحدّ الآن وبنفس الطريقة ،حيث يعتبر السوسيو غرام كتقنية مرئية ترسم العلاقات بين الفاعلين الإجتماعيين والتّي تصبح الأداة التحليليّة الرئيسيّة في السوسيومتري (Christian , 2012, 29)

2.2. المفهوم الحديث لمواقع التواصل الإجتماعي:

والتّي تعنى بمواقع التواصل الاجتماعي في الدراسات الإعلاميّة والاتصاليّة الحديثة،ولعلّ أهمّ تعريف قدّم لمفهوم "مواقع التواصل الاجتماعي"،هو ذلك الذّي قدّمته كلّ من Nicole B.Ellison وDanah M.Boyd ،ومفاده أنّ مواقع التواصل الإجتماعي هي خدمات على الواب تسمح للأفراد بإنشاء حساب عام أو نصف عام ضمن نظام يحدّها،يظهر قائمة مستخدمين آخرين يشتركون معهم في نفس الروابط ويرون قوائمهم الاتصاليّة وكذلك تلك المؤسسة من طرف آخرين ضمن نفس النظام،طبيعة وتسمية هذه الروابط قد تختلف من موقع إلى آخر.

مواقع التواصل الإجتماعي،أو شبكات الإعلام الإجتماعي Social networks بأنّها مواقع web sites أو تطبيقات أخرى applications مخصصة لإتاحة القدرة للمستخدمين للتواصل فيما بينهم من خلال وضع المعلومات والتعليقات والرسائل والصّور وغيرها (السويدي ،2013، 20)

بعبارة أخرى،فإنّ مواقع التواصل الاجتماعي هي مجموعة من المواقع على شبكة الأنترنت ظهرت مع الجيل الثاني للواب2.0 ،تتيح التواصل ما بين الأفراد في بنية مجتمع إفتراضي ،يجمع بين أفرادها إهتمام مشترك أو شبه انتماء ،يتّم التواصل بينهم من خلال الرسائل أو الإطّلاع على الملفات الشخصيّة ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التّي يتيحونها للعرض،سواء كانوا أصدقاء من الواقع الإجتماعي المعاش،أو أصدقاء تمّ التعرّف عليهم من خلال السياقات الإفتراضيّة.

ثانيا:المجال العمومي الميدياتيكي:

1.مفهوم الفضاء العمومي في النظرية السياسيّة لدى يورغن هابرماس:

يُعَّد تفكير "يورغن هابرماس" في "الفضاء العمومي" توثيقاً لمشروع التواصل في المجال السياسيّ،وهو تفكير في أشكال الممارسة الإنسانيّة وأهدافها وأشكال الاندماج الاجتماعي في الحياة العموميّة،والتفكير في الديمقراطيّة والوسائط التّي تربط بين الأفراد داخل الفضاء العمومي في ضوء إشكالية العلاقة بين الدولة والمجتمع.

ولقد صاغ يورغن هابرماس مفهوم "الفضاء العمومي" في أوّل أعماله عام 1962 في مؤلفه " الفضاء العمومي،أركيولوجية الدعاية باعتبارها مكوّنا أساسيّا للمجتمع البرجوزاي" في أولى إهتماماته المبكّرة بالفلسفة السياسيّة ،في إطار تاريخي ظرفي زماني متعلّق بالمناخ السياسي لألمانيا بعد الحرب العالمية الثانيّة،لهذا فإنّ إسهامات هابرماس برؤيته النقديّة وإسهاماته الأكاديميّة حول قضايا الفضاء العمومي والديمقراطيّة والشرعيّة والسيادة وحقوق الإنسان دليل على وعيه المبكّر بالسياسة.

وقد جعل هابرماس من مصطلح "الفضاء العمومي" مدخلا جوهريّا إلى النظرية السياسيّة،فالسؤال الأساسيّ الذّي يطرحه هو: ما هي الظروف الاجتماعيّة التّي تسمح بحوار عقلاني نقدي حول قضايا الشأن العام؟ ،وهي قضايا يناقشها أشخاص يهدفون إلى إعتماد الحجّج في اتخّاذ القرارات بدلا من اعتماد مبادئ سلطويّة،وتعتبر

هذه المبادرة في الوقت ذاته بحثًا عن معايير مثاليّة وفحصًا للتّاريخ الفعلي، وقد فكّر هابرماس من هذا المنطلق في خلق فضاء عمومي كفيل بامتحان الرأي العام على الصّعيد السياسي.

2. أركيولوجية الدائرة النقديّة العموميّة لدى يورغن هابرماس :

إنّ البحث في "أركيولوجيا الفضاء العمومي" واستعمال هابرماس لمفهوم الأركيولوجيا لا يحمل معنى استعمال "ميشال فوكو" لهذا المفهوم،باعتباره أنّ فوكو هو مطوّر هذا المفهوم ومحوّله لطريقةٍ تعتمد على التّفكيك والتّأويل والكشف عن الحضور المستتر للسلطة وتأويل النظم المعرفيّة وفضح تطوّرها في مشاريع السّلطة التّي تحوّل المعرفي إلى آلية للتحكّم (حيدوري،2000، 45).

غير أنّ استعمال هابرماس لمفهوم "الأركيولوجيا" يفيد معنى رصد المفهوم من جهة التّكوين والتحوّل والوظيفة والتّفاعل بين عناصر البنية المحدّدة للمجال العمومي،وكذلك "الكشف عن حقيقة الرأي العمومي وطرق إستعمال الجمهور للعقل إمّا استعمالا موجّها سياسيّا أو مضّادا لها"(Habermas,1993, 14).

فهو لا يبحث في مفهوم الفضاء عامّة وإنّما حول "الفضاء العمومي البرجوازي" بالأخصّ وامتحانه في علاقته بمفهوم الرأي العام الذّي يقتضي الكشف عن حقيقة هذا المجال الواسع والمتشابك ،أي إنطلاقا من "مقاربة النموذج الليبرالي للفضاء العمومي" من جهة تحوّلاته التاريخيّة وتركيباته الإجتماعيّة ووظائفه السياسيّة وعلاقته بالدولة.

هذا ويُميّز هابرماس في بحثه الأركيولوجي بين مفهوم "العموميّة"،ويقابله باللّغة الفرنسيّة مفهوم "public " ومفهوم "المجال العمومي" ويقابله باللّغة الفرنسيّة مفهوم " la sphère publique" ،"فالعموميّة" تتجلّى في كون الدولة جملة من المؤسسات العموميّة مهمّتها خدمة العموم،ويستعمل في حقل السياسة للإشارة إلى المؤسسات العموميّة التّي تخضع لسلطة الدولة التّي تقوم بتسييرها من خلال جملة من الضّوابط القانونيّة والتّشريعات التّي تتوافق مع سلطتها ،وأنّ هذه الدوائر العموميّة من خلالها يتفاعل الجمهور في إطار تواصلي.

وتتعلق بتربة المجال الذّي يتواجد فيه الكائن من أجل العيش المشترك،فوجود الفرد في "فضاء عمومي" هو وجود داخل مجال مؤسس على مبادئ ومحكوم بقيّم حارسة للإنسانيّة،ويتمتّع الفرد بالحريّة داخل هذا الفضاء المنسجمة مع العقل،من أجل تنظيم المجال تنظيما يجعله متأرجّحا بين المجتمع والدولة.

فالتفكير في "الفضاء العمومي" يُعّد شرطا إنسانيّا في أبعاده الإجتماعيّة والسياسيّة كونه تفكيراً في مصلحة الفرد وكيفية إندماجه في المجتمع ومشاركته كمواطن في تعزيز الديمقراطية عبر السّلطة السياسيّة.

إنّ معالجة هابرماس لمفهوم "الفضاء العمومي" لا تنفصل عن مقاربته لمفهوم "الرأي العام" الذّي يمثّل مقولةً تاريخيّة إذ يؤكّد على أنّ المفهومين يمكن مقاربتهما من زوايا مختلفة للعلوم الأخرى كعلم الإجتماع والتاريخ والسياسة.

فمقاربة هابرماس ستنحو منحىً سوسيولوجيّا وتاريخيّا،ذلك لأنّ مفهوم "الفضاء العمومي" يمثّل مقولة تاريخيّة حديثة ،وبالتّالي لا يمكن عزل المفهوم عن حقل تكوّنه التاريخي،لأنّ موضوع "الفضاء العمومي" هو الجمهور باعتباره حاملا لرأي عام ذي وظيفة نقديّة.

"فالدائرة النقديّة العموميّة"،تقيّد الجمهور أو جميع المواطنين الحاملين لرأي عام نقديّ،وبهذا يكشف التصّور الإغريقي عن طبيعة تَكوُّن "الدائرة العموميّة" التّي تتكوّن من الحوارات والنقاشات وتبادل الآراء

والأفكار بين المواطنين في إطار الديمقراطيّة المباشرة،وتتحوّل الآراء والأفكار إلى لغة يوميّة متبادلة،يجد فيها المواطن هويّته وتمكّنه من تحقيق التواصل،بحيث تتيح المدنيّة للمواطنين فرصة النقاش والمداولة العامّة في إطار التساوي من أجل التمكّن من الحوار والاعتراف(حيدوري،2000، 63).

ولم يعرف نموذج الدائرة العموميّة في نظر هابرماس أوجّه إلاّ مع الدولة الحديثة، لأنّ "العموميّة" في الفترة الهيليستيّة وعصر النّهضة ما هي إلاّ نموذج معياري وأنّ ميلاد النموذج الواقعي تزامن مع ميلاد الدولة الحديثة والمجال الذّي يقابلها والمتمثّل في المجتمع المدني.فلم يتحقق التواصل بالمعنى السياسي إلاّ في العصر الحديث،والانقسام الفعلي بين الدائرة العموميّة والدائرة الخاصّة،بحيث تشكّل المجتمع الرأسمالي الحديث وتشكّلت الطبقة البرجوازيّة على هامش النظام الإقطاعي،وأنّ ما يميّز الثورة البرجوازيّة هو ظهور فضاء سياسي يهدف إلى التّحرر من النظم السياسيّة القديمة،ويؤسس لنموذج جديد ولفضاء يؤمّن الإمتيازات السياسيّة لطبقة الجديدة المسّيطرة إقتصاديّا والتّي ستحكم فيما بعد في "الدائرة العموميّة" سياسيّا وايديولوجيّا (الأشهب، 164.2013)

إنّ البحث عن "أركيولوجيا الفضاء العمومي مع هابرماس" لا يقتصر ولا يقف عند مرحلة الأنوار الأوروبيّة بل يعود إلى الفكر اليوناني الذّي ميّز بين الحياة الخاصّة والحياة العامّة،بين نمط الوجود الخاص بالأسرة وبين نمط الوجود العام الذّي يتمظهر في دائرة المدينة أي الفضاء المشترك بين المواطنين الأحرار،فالحياة العامة تتحّدد في السّاحات العموميّة وفي مجال الممارسة اليوميّة وفي المدينة وفي الأسواق ،وفي الأغورا (Agora) أي الساحات العموميّة التّي كانت تنعقد فيها المجالس البلديّة في اليونان القديمة،وكما أنّ أرسطو كذلك قد ميّز بين فضاء الأسرة وفضاء المدينة ،فالمدينة هي الفضاء أو الميدان الذّي يلتقي فيه المواطنون الأحرار إلتقاءا على أرضية سياسيّة وايتيقيّة لتحقيق خير أسمى على حدّ تعبير أرسطو.

3.التأسيس الكانطي لمفهوم "العموميّة" في الفلسفة السياسيّة الحديثة:

بعد التّعرض بالدراسة "لأركيولوجيا تشكّل الفضاء العمومي"، ينتقل هابرماس إلى رصد مفهوم الفضاء العمومي في عصر التنوير البرجوازيّ،كما تكوّن مع الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" ،باعتباره المؤصّل الفلسفي لمفهوم "العموميّة" في الفلسفة السياسيّة الحديثة.

لقد بلور كانط في فلسفته مفهوم "العموميّة" الذّي ارتبط عنده بمفهوم النّقد،وقد مثّل هذا التأسيس الكانطيّ منطلقا للمراجعة الهيجيليّة لفلسفة الحقّ والتّاريخ ودفاعا للنقد الماركسي لمقولات الدولة البرجوازيّة والخطاب الإيديولوجي ومفهوم حقوق الإنسان (حيدوري،2000، 82).

ولقد تجّلت قراءة هابرماس لكانط في كتابه عن الفضاء العمومي في إجابة كانط عن سؤال:ما التّنوير؟وتركيزه على التمييز الكانطي بين الاستعمال الخاص والاستعمال العمومي للعقل والعودة كذلك إلى نص "ما التوجّه في التفكير" لتحديد شروط التّفكير الذاتي وكيفية تدبّر المرء لذهنه في الفضاء العمومي.

كما يعود هابرماس إلى نص "مشروع السلام الدائم"،لتحديد بناء شروط مجتمع مدني يقيم الحقّ بشكل كوني،أي التأسيس لسياسة كونيّة.ولقد طرح هابرماس في كتاب له فكرة السّلم الدائم كفكرة كانطيّة طرحًا يتعلّق بتحليل مفهوم الحقّ الخاص والحقّ العام والعالمي،وتكوّن المجتمع المدني ومناصرة حقوق الإنسان

ودور الفضاء العمومي السياسي في مراجعة التّقديم العمومي للسّياسة في إطار التنظيم الجمهوري (Habermas, 1996, 07)

إنّ مبدأ "العموميّة" وفقا لكانط هو المبدأ الضّامن لحريّة الأفراد داخل الحياة المدنيّة،وتمثّل "العموميّة" شرط الحقّ،ومن دونها لا يمكن أن تحقّق العدالة،لأنّها حقّ لكلّ المواطنين ولا توجد حدود للعموميّة إلاّ ما يحدّده العقل ذاته.

ولقد انطلق هابرماس في مقاربته للفضاء العمومي من الفهم الكانطي "لمبدأ العموميّة البرجوازيّة" والذّي معناه وجود مجموعة خاصّة من الأفراد الذّي يستعملون العقل إستعمالا عموميّا في اتجّاه عقلنة السياسة وأخلقتها ،فيصبح الرأي العام موجّها بإرادة عقلنة السياسة باسم الأخلاق (Habermas, 1996, 112) .

وذلك أنّ كانط لا يفصل بين السّياسي والأخلاقي ،إذ يرى فيها أنّها وحدة لازمة،وأنّ العموميّة هي الضّامنة لهذه الوحدة والمنظمة للحياة المدنيّة وفاتحة الطريق إلى الأنوار،باعتبار الأنوار دعوة إلى التّحرر والشجاعة على استخدام الفكر وحرية التعبير والاستعمال الذاتي للعقل،بحيث ينحو هابرماس هذا المنحى مؤكدا أنّ الفيلسوف ليس وحده المؤهل للأنوار بل كلّ الأفراد القادرين على استعمال عقولهم بحرية جديرون بانجاز مهام الأنوار،ولأنّ الوظيفة المثلى للإجماع العمومي للأفراد،تكمن في استعمال عقولهم في النقاشات المفتوحة والمحاكمة الفلسفيّة الشفويّة للحقيقة والمحاكمة السياسيّة للسلطة.

وقد يتعارض هابرماس مع "حنّة أرندت Hanna Arndet " في تأصيلها وفهمها لمفهوم العموميّة والفضاء العمومي بتوجّهها لقراءة كانط من الجانب الإستيطيقي وتسليمها بالوحدة بين الإستيطيقي والسياسي المكوّن للعموميّة وتسليمها بنموذج الدائرة العموميّة اليونانيّة التّي تأسّست على التلازم بين فنّ القيادة وفنّ الإبداع ضمن ما أسمته "بحياة الفعل"،منطلقة من الفكر السياسي الأرسطي ورصده لتحولات البنيات الاجتماعيّة وما رافقها من تحوّلات ، وهذا ما يتعارض عليه هابرماس كون أرندت ردّت الفضاء العمومي إلى نموذج المدينة الإغريقية بحجّة قولها :"بأنّ المجال العام اليوناني هو مجال الكلام والفعل الذّي يعارض المجال الخاص" (Chaniel, 1982, 63-73) .

4.أبرز الإنتقادات الموجّهة للمفهوم الهابرماسي للفضاء العمومي:

وجهّت الفيلسوفة اليساريّة "نانسي فرايزر Nancy Fraser "نقدا منهجيّا لنظرية هابرماس في "الفضاء العمومي"،إذ رأت بأنّها لم تعد تتعلّق بالنموذج الليبرالي والإشتراكي الخيار الأوحد في مسار السياسة والأخلاق والإقتصاد،وذلك للتّحولات الإجتماعيّة والتاريخيّة الراهنة التّي تصاعدت فيها الحركات الإجتماعيّة الجديدة كالحركات النسويّة والعرقيّة والطائفيّة،كلّ هذا بإمكانه تقويض رؤى هابرماس لمفهوم "الفضاء العمومي" الذّي بقي سجين الإطار الوطني والقومي للفعل السياسي.

ورغم أنّ هابرماس قد تراجع عن بعض الأسس في تصّوره للمجال العمومي البرجوازي بعد مرور ثلاثين سنة من صدور كتابه المرجعي :" L'espace public. Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise" فقد ظّل أكبر مأخذ يسجّل عليه،يكمن في إغفاله على الصّعيد النظري تعدديّة المجالات العموميّة،وصَرَف نظرهُ عن المجالات الشعبيّة والبديلة،فالبرّغم من أنّ الواقع الإمبريقي يُثبت تشذّر المجال العمومي،إلاّ أنّ النقاد ظّلوا يؤكدون على انحرافه نظرا لتشّذره،والتشّذر يعني التّعدد بعبارة أخرى.

ويذهب "هارتمورت روزا Hartmurt Rosa " ممثّل الجيل الرابع لمدرسة فرانكفورت النقديّة إلى القول بعدم كفاية تحاليل العقلنة الهابرماسيّة في تفسير التحوّلات السريعة التّي يعرفها الفكر السوسيولوجي والسياسي،إذ يذهب هارتمورت روزا في مقاربته "نحو نظرية نقدية للحداثة المتأخّرة"،إلى القول بأنّ ما يُميّز الحداثة في زمن الموجة الثالثة ،هو تزايد سرعة أو وتيرة الحياة الإجتماعيّة بسبب التّحول السّريع الذّي شهده العالم المادي والإجتماعي والحضاري،وما عرفه من تحوّلات كبرى مسّت جميع مظاهر الحياة الإنسانيّة،أدّت في نهاية المطاف إلى تغييرات جوهريّة في نمط الحياة،فالتجربة الأساسيّة للحداثة الغربيّة بحسب تصّوره تقوم على ما يسمى بالتسارع Accélération وهذا ما تشهده المجتمعات المتقّدمة تكنولوجيّا(بومنير،2013،143).

ثالثا:إعادة تمثل مفهوم الفضاء العمومي في ديناميكيته الإجتماعيّة

1.إنتقال التفكير من الإعلامي إلى السياسي:

1.1.نماذج الفعل في الفضاء العمومي الديمقراطي لبرنار مياج Bernard Miège:

حصر برنارد مياج أربعة (04) نماذج من الفعل في المجال العمومي الديمقراطي إنطلاقا من تقنيات الإتصال المهيمنة وهي كالآتي: صحافة الرأي، الصحافة الجماهيريّة التجاريّة، الوسائل السمعية - البصرية الجماهيريّة، العلاقات العامة المعممّة.

لقد ساهمت هذه النماذج في تقويض "نموذج المجال العمومي البرجوازي"،فصحافة الرأي تراجعت في العديد من المجتمعات اللّيبراليّة المتقدّمة إلى درجة تكاد تندثر أمام صعود الصحافة الإخباريّة والصحافة الشعبيّة ذات الطابع التّجاري التّي غيّبت الحوار والجدل والإستعمال العلني للحجّة.

وتوجّهت الوسائل السّمعية البصريّة إلى الفرجة والإستعراض من أجل الترفيه والتّسلية كاختيار فرضته جملة من العوامل يأتي في مقّدمتها الإشهار الذّي يظّل عاملا أساسيّا في تحوّل وسائل الإعلام وتطوّرها،التحوّل الذّي عمل على تهميش الخدمة العموميّة إن لم يغيّبها،وجرّ المؤسسات الإعلاميّة إلى إنتاج محتويات العلاقات العامّة المعممّة بالمعنى المحدّد أعلاه والتّي أطلق عليها "التواجد الدائم للإستيراتيجيات التواصليّة"،وهذا رغم دخول فاعلين جدد في المجال العمومي،وهم خبراء الإتصال وسبر الآراء بعد أن كان مقتصرا على محترفي الصحافة.

ولم تتشكّل هذه النماذج بالصّورة ذاتها في كلّ المجتمعات،فلم تصل صحافة الرأي على سبيل المثال في تطوّرها في بعض البلدان الناميّة إلى إنتاج خطاب جدالي،يُعَّد ثمرة النقاش السّياسي حول القضايا ذات العلاقة بالشّأن العام في بعض البلدان الناميّة بل عملت على إعادة إنتاج الخطاب الدعائي الذّي يروم "إجماع" الواجهة،ولم تفلح في صنع "التوافق في الرأي" المبني على المداولة في الطّرح،إذ يلاحظ أنّ بعض الصحف لم تفتح المجال للنقاش إلاّ حول القضايا الدوليّة مستبعدة القضايا الداخليّة من النقاش والنّقد،وتمثّلت بعض الصحف ذاتها في الممارسة كأنّها أحزاب سياسيّة وانكفأت على تبرير مواقف الحكومات

المتعاقبة أو هذا التيّار الإيديولوجي والسّياسي أو ذاك مستبعدة أيّ موقف أو رأي معارض لها من التّعبير عن ذاتها في صفحاتها.

ويستنتج من النماذج الأربعة لمياج برنارد أنّ وسائل الإعلام عملت على توسيع المجال العمومي وتشذّره،ولم تدرج التحوّلات التّي طرأت على هذه الوسائل (وسائل الإعلام) بعد ميلاد شبكة الأنترنت وتداعياتها على المجال العمومي،لقد أدّت الممارسة الإتصاليّة في ظّل هذه البيئة الجديدة إلى فكّ إرتباطها بالمكان،ممّا نتج عنه تعدّد المجالات العموميّة التّي لا يمكن المبالغة في وزنها السّياسي مستقبلا.

2.1.تشكيل مواقع التواصل الإجتماعي للفضاء العمومي:

يمكن أن نلتمس القاسم المشترك الذّي يجمع المؤمنين بأنّ وسائل الإعلام التقليديّة أو مواقع التواصل الإجتماعي عملت على تشكيل المجال العمومي وفق النموذج اللّيبرالي بالذّين يعتقدون بأنّها عملت على تقويضه وفق النموذج ذاته،يتجسّد هذا القاسم المشترك في تمثُّل وسائل الإعلام كوسائط للفعل السياسي وكمجال لإدارة النقاش العمومي في المجتمع (Dahlgren Peter, 2000, 169-170.) ،هذا وإن كان البعض مثل Dahlgren لايرى وسائل الإعلام في علاقتها بالمجال العمومي إلاّ ضمن ما يسّميه بالشروط التاريخيّة الجديدة لوجوده،والتّي يلخصّها في العناصر التاليّة: أزمة الدولة، تشذّر الجمهور وتشتته، الحركات الإجتماعيّة الجديدة و وفرة تكنولوجيا الإتصال الحديثة.

لكن يبدو أنّ وفرة هذه التكنولوجيا غير كاف في تشكيل أو إعادة تشكيل مجال عمومي، لأنّ ممارسة السياسة عبر مواقع التواصل الاجتماعي يختلف كثيرا عن الحديث في السياسة في المواقع ذاتها.

ففي هذا الإطار ترى Papacharissi بأنّ شبكة الأنترنت قد أنشأت فعلا "حيّزا عموميّا" ويقابله باللّغة الفرنسيّة "public space" ،لكنّها لم تسمح بالضرورة بقيام "مجال عمومي" ويقابله باللّغة الفرنسيّة " sphère publique "،ففي طرح الباحثة المذكورة،فإنّ "فضاء عمومي جديد" ليس مرادفا"لمجال عمومي جديد"،فالفضاء الإفتراضي لا يقوم سوى بترقية النقاش،وبينما يجب على المجال العمومي أن يرقّي الديمقراطية.

وعلى النقيض من هذا الطرح،آمنت نانسي فرايزر،بإمكانية أن تتحوّل شبكة الأنترنت إلى مجال عمومي قويّ،بحيث تصبح منصّاتها المختلفة مسيّرة ذاتيا وتمارس الديمقراطية المباشرة أو شبه المباشرة في مواقعها،ففيها يشارك كلّ المنخرطون في مؤسسة جماعيّة في المناوشات والمداولات ويحددّون تصّورها وإدارتها.

إنّ المجتمعات الناميّة التّي سعت إلى إقامة ديمقراطية الواجهة أو ديمقراطية "مراقبة"،عملت على إقصاء المعارضة السياسيّة بمختلف السّبل في ظّل تكلّس الأحزاب السياسيّة التّي تعاني من فقر في الفكر السياسي وقطيعة مع ناخبيها،بعد أن تحوّلت إلى تجمّع للمصالح الضيّقة،هذا إضافة إلى بسط هيمنة الخطاب الإعلامي الرسمي،والتضييق على الرأي المخالف إن لم تصادره،ناهيك عن اللّجوء إلى حجّة القوّة للفصل في النّزاع حول السّلطة.

ففي ظّل هذه السياقات،برز تمثُّل لمواقع التواصل الإجتماعي كمنابر جديدة عن الأحزاب السياسيّة وأداة للتّمرد على الخطاب الإعلامي الرسمي في ظّل ارتفاع عدد مستخدمي الأنترنت ومنتسبي هذه المواقع في العديد من الدول الناميّة،والمنطقة العربيّة تحديدا،وتزايد الوقت الذّي يُصْرَف في استخدامها اليومي،الذّي فاق المدّة

التّي تخصّص لمشاهدة التلفزيون يوميا،وإن كان الإعتماد على مواقع التواصل الاجتماعي كمصدر إخباري قد زاد،إلاّ أنّ الفضاء الافتراضي الذّي أنشأته لم يعمل على ترقية النقاش السياسي إن لم يميّعه ويحرّفه.

إنّ النأي عن "نظرية القذيفة السحريّة"لمواقع التواصل الإجتماعي أي "الحتمية التكنولوجية" يقتضي تجنّب الإعتقاد بقوّة هذه المواقع المحايثة التّي تمكنّها من إنشاء مجال عمومي أو هدمه،ويتّطلب فهم نشاط هذه المواقع ضمن شروط وسياقات استخداماتها،لذا من الصّعب فصلها عن تقاليد الاتصال المتوارثة عبر الأجيال وعن التّاريخ السّياسي لهذه البلدان،الذّي يؤكّد غياب ثقافة الحوار والنقاش والحجاج أي أنّ الأطر التمثيليّة لم تبلغ مستوى الحلبة التّي يدار فيها النقاش بكلّ ديمقراطيّة ويتّم التداول حول الآراء التّي تتصادم بحججها المتعارضة،لذا نجد بأنّ مواقع التواصل الإجتماعي قد أفلحت في ابتكار أشكال للتّكافل الإجتماعي والتّعاون،وتخريب الخطاب السياسي والإعلامي الرسمي دون أن تفلح في بناء مجال عمومي معارض،ويمكن أن نضيف إلى الأسباب المذكورة أعلاه التّي حالت دون ذلك توجّه مواقع التواصل الإجتماعي لتتخّذ شكل دوائر،أي أنّها منفتحة نظريا لكنّها تتجّه نحو الإنغلاق عمليّا،فظاهرة Homophilie التّي وجدت في مواقع التواصل الاجتماعي في مجتمعات هذه المنطقة أرضية خصبة لا تشجع على الحوار والنقاش وتدفع المشتركين في هذه المواقع إلى حذف ذوي الرأي المخالف أو المعارض من قائمة أصدقائهم ورفض استقبال كلّ من يرسله من آراء وأفكار،وهذا ما يؤدي إلى ترسيخ ثقافة الحوار الذاتي Monologue ،فظاهرة التوحّد Homophilie في مواقع التواصل الإجتماعي تحث على الانغلاق والإنطواء،وتساهم بفاعلية في تشكيل المجال المشترك espace commun الذّي يختلف عن المجال العمومي.

2.إنتقال التفكير من السياسي إلى السوسيولوجي:

بصرف النّظر عن الأطروحة التّي تنص على أنّ وسائل الإعلام هي في حدّ ذاتها مجال عمومي، يستنتج ممّا سبق أنّ النظرة لعلاقة هذه الوسائل بالمجال العمومي تقوم على الثنائيتين: الوساطة médiation (وساطة الفعل السياسي)،والأعلمة la médiatisation،أي جعل المجال العمومي مرئيّا وهذا ما يسّميه بعض الباحثون مثل دومينيك والتن Dominique wolton "بالمجال العمومي الميدياتيكي"،وعلى هذا الأساس من الصعب جدّا فصل المجال العمومي عن وسائل الإعلام (Wolton, 95-114.).

1.2.وساطة الفعل السياسي:

بيد أنّ جون مارك فيري Jean-Marc Ferry يرى أنّ هناك فضاءين عموميين: مجال عمومي اجتماعي و مجال عمومي سياسي ،لقد ظلّت المواضيع المتناولة في المجال الأوّل خاصة،وبرزت في المشهد العمومي،وأدّت سيطرة الإتصال الشّاملة إلى بروز منظومة جديدة مكنّت العلاقات المهنيّة والعائليّة من الاستعراض في المشهد الميدياتيكي.أمّا المجال العمومي السياسي الذّي يعتقد أنّه لا يغطّي مجمل الإتصال السياسي بالمعنى الذّي حدّده دومينيك والتن الذّي يعتبره حيّزا لتبادل الخطابات المتناقضة للفاعلين الثلاث الذّين يملكون شرعية التعبير العلني وأمام الملأ هم: الساسة والصحفيون والرأي العام الذّي تعبّر عنه عمليات الإستطلاع.

استلهم بعض الباحثون فكرة السيولة من أطروحة عالم الاجتماع Zygmunt Bauman ووظّفوها في قراءاتهم لمفعول مواقع التواصل الاجتماعي ،فالباحث Christian Fuchs على سبيل المثال يعتقد أنّ بروز "الميديا الاجتماعي" يندرج ضمن السّيولة والتداخل،فالتمييز بين الخاص والعام واللّعب والعمل والترفيه وقت

العمل والبيت ومكتب العمل والاستهلاك والإنتاج أصعب نظرا لتداخل كلّ هذه الأنشطة ويشخص سيمتين تأسيسيتين للطريقة التّي تقوم فيها مواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك ،إذ يذكر أنّ السّمة الأولى تتجّلى عبر المجتمعة المدمجة التي تتحقق عبر ثلاث (03) أنماط وهي: المعرفة ،التواصل والتعاون.

وتتجلى السّمة الثانية عبر الأدوار الإجتماعيّة المدمجة والتّي تستند إلى عملية إنشاء البروفايل في هذه المواقع مثل الفيسبوك الواصف لمختلف الأدوار التّي يقوم بها الإنسان في الحياة.

وتنصح دومينيك ماهل Dominique Mehl بقطع الصّلة بالعبارات المستقاة من الجغرافيا مثل الإقليم والحدود في الحديث عمّا هو عمومي وما هو خاص،إذ تؤكد أنّه من الأجدى الحديث عن تمفصلهما وتداخلهما باستخدام عبارة المسار processus أو بالأحرى الحديث عن تمفصل الفضاءين العمومي والخاص وتداخلهما ليشكلا حيّزا عموميا جديدا تصبح فيه القضايا الخاصة مرئيّة ومطروحة للنقاش،بصفتها ميدانا خاصا/عموميا.ولعلّ هنا يكمن المبرر الذّي جعل دومينيك والتن يرفض الفصل الذّي أحدثته الفلسفة اليونانية بين ما هو خاص وما هو عمومي،إذ يرى أنّهما يشكّلان ما يسّمى ب"الاجتماعي"،والذّي تسمّيه حنّة أرندت بالمجال الاجتماعي،وتقول عنه أنّه ليس بالخاص ولا العمومي بالمعنى الدقيق للكلمة،بل ظاهرة جديدة برزت بظهور العصر الحديث الذّي تجلّى شكله السياسي في الأمّة والدولة.

2.2.الأعلمة (المجال العمومي الميدياتيكي):

إنّ التفكير في المجال العمومي من زاوية زوال الفصل بين ما هو خاص وعمومي حرّر تعريف هذا المجال من ثقله ووظيفته السياسيّة،وأعاد تعريفه بصيغ مختلفة وعلى أسس جديدة نذكر منها أنّ المجال العمومي "إطار ميدياتيكي"،تقوم بموجبه المنظومة المؤسساتيّة والتكنولوجيّة الخاصة في المجتمعات ما بعد الصناعيّة بتقديم مختلف جوانب الحياة الإجتماعيّة إلى الجمهور (Wolton, , 1992, 114).

ووفق هذا المنظور الجديد، فإنّ وسائل الإعلام ليست وسائل بثّ وتوزيع مركزيّة وأحادية الاتّجاه من مرسل إلى جمهور، وليست إطارا للجدل ومقارعة الحجّة بالحجّة، بل وسيطا اجتماعيّا. أي أنّها تقوم بالوساطة بين أفراد المجتمع عبر اللّغة. وبهذا فإنّها لا تخدم بالضّرورة الرؤية السّياسيّة للمجال العمومي الذّي تحصره في الوساطة بين المواطنين والسّلطات باعتباره حيّزا رمزيّا لطرح الآراء والمواقف المتعارضة ذات الصّلة بإدارة الشّأن العام.

يعيدنا هذا الحديث إلى الفكر اليوناني بعيدا عمّا كانت تمثّله الأغورا الذّي تذكّرنا بها حنة أرنت،بالقول أنّ من يوجد خارج المدينة cité في نظر أرسطو، أي العبيد والبرابرة محروم من الكلام، ومن البديهي أنّ ذلك لا يعني الحرمان من القدرة على الكلام، بل مَقْصِيّ من ضرب من الحياة العامة تكون فيها اللّغة واللّغة وحدها ذات معنى فعلي.

إذاً ولوجُ المجال العمومي من المنظور الإجتماعي ليس مشروطا بامتلاك سلطة القول التّي تحدّث عنها بيار بورديو pierre Bourdieu ، ولا باستعمال الحجّة التّي تحدث عنها هابرماس، بل بالحديث العلني وأمام الملأ عبر الوسائط المتاحة: الإذاعة، التلفزيون، مواقع التواصل الاجتماعيّ، والمنصّات الرقميّة المختلفة في شبكة الأنترنت.

إنّ الكثير من الوسائط الجديدة تملكها الشركات العملاقة في مجال المعلوماتية والانترنت. وسهّلت جلّها الوشاية والقدح والقذف والعنف اللفظي والإقصاء، خاصة في العديد من البلدان العربية.وتحوّلت إلى أداة نشيطة لممارسة المراقبة والتصنت والتلصص والجوسسة على كلّ ما يتّم تداوله و ساحة لتعرية الذات والفضضة عن النفس، وغيرها من المظاهر التّي تعيق فعلا إعادة تشكيل مجال عمومي من المنظور السياسي. لذا لا بّد من محاولة فهم علاقة وسائل الإعلام بالمجال العمومي على ضوء الاتصال الميديتيكي الذّي تزايد في حضن المجال المجتمعي espace sociétal الذّي يتوسّط الحيّز الخاص والحيّز العمومي .

رغم التحوّلات البارزة التي طرأت على وسائل الإعلام والتّي أعادت صياغة علاقتها بالمجال العمومي إلّا أنّ هذا الأخير أضحى المتغيّر الأساسي في فرضية هذه العلاقة. إذ أصبح ما هو اجتماعي le social هو الذّي يشّكل موضوع المجال العمومي وليس "السياسي". ونقصد بالسياسي السّلطة الضمنيّة التي تتأسّس في مجتمع ما وتكون ذات صلة بإدارة المجتمع وتنظيمه. وهذا يتطّلب إعادة قراءة العلاقة المذكورة أعلاه على ضوء أسس جديدة، قوامها:

إضفاء البعد المرئي: تمنح وسائل الإعلام للأشخاص والخطابات بعدا مرئيًّا والسّبب في ذلك لا يقتصر على أنّ تطّور تكنولوجيات الاتصال الراهنة فتحت آفاقا واسعة لتغيير علاقة المرء بالبعد والغياب، بل لالتفافها على الإقصاء الذّي شكّل إحدى المآخذ الرئيسة في نقد المجال العمومي الهابرماسي. فالمجال العمومي في تعريف حنا آرنت هو " مجال للظهور espace des apparences"فبعد أن أعادت تأويل المفهوم الأرسطي للسياسة المغاير للنموذج الهابرماسي القائم على الحجاج وفق منظور نقدي وتحرّري، رأت هذه الفيلسوفة أنّ المجال العمومي يتمثّل في كونه مؤسسة رمزيّة لمجال الانتماء والظهور الذّي يصبح مرئيًّا في بعده الظاهراتي ويقصد بالبعد الظاهراتي الأفعال، والأحداث التّي يكتسي فيها الأشخاص معنًى وشكلا اجتماعيّا ساعة ظهورهم.

إنّ ما تقوم به وسائل الإعلام من ربط المجالات الثلاثة المذكورة أعلاه، أو تشكيل المجال العمومي الاجتماعي يجرى على صعيد رمزي. بالطبع إنّ التفكير في هذا البعد الرّمزيّ يطرح التساؤل عن العوائق التي تحول دون إعادة تشكيل مجال اجتماعي أو تشكيله من جديد في البلدان الناميّة ومنها الجزائر.

رابعا: السياق الإتصالي والفعل السياسي للمستخدم الجزائري

1.السياق الإتصالي لمستخدمي مواقع التواصل الإجتماعي: نحو إبداع طريقة جديدة للبّث في الفضاء العمومي:

ترفق التجربة الإتصاليّة دائما بتمثُّلٍ حول التقنية،وتُعّد هذه التجربة خاصّةً بكلّ فرد وهي بنائيّة لممارساته،بحيث تظهر التمثّلات أثناء التقابل مع التقنية وفي الإستخدام الفعلي لوسائل الإتصال.ويسمح خطاب المستخدمين بفهم كيفية إستقبال هؤلاء المستخدمين لإدماج وسائل الإعلام والإتصال في عالم حياتهم اليومية.

1.1.السياق الإتصالي ونشاط بناء المعنى لدى الفاعل:

تعود جذور تحليل الاتصال إلى الفلسفة الوجوديّة التّي تقترح رؤية حول الإنسان مفادها:"أنّ الإنسان ظهر في العالم وبنى معنى أفعاله من خلال أهداف مشاريعه،بحيث أنّها جعلت الإنسان كائنا ظهر في العالم وهو

ما يعني إعطاء الأولوية لخبرته اليومية،باعتباره واع بالأنا وبالآخر وبالعالم،فالقول أنّ الإنسان يبني معنى لأفعاله يعني البحث عن مسار بناء الواقع الاجتماعي لدى الأفراد من خلال التبادلات التّي يقيمونها" (Muccheilli, 115.)

فالمقاربة الاتصاليّة تهتّم إذاً بالطريقة التّي يوجّه الإنسان من خلالها وجوده،وقد اهتّم علم الاجتماع وبالأخصّ علم النّفس الاجتماعي الذّي يدرس صيرورة بناء المعنى بالوظيفة الرمزيّة التّي بدأت حيّزا كبيرا لدى المهتمين بها.وهو ما أدّى إلى ظهور تيارات بحثيّة تهتّم بفهم مدى التزام الأفراد أثناء عملية بناء المعنى في العالم الذّي يعيشون فيه ويتصلون مع غيرهم.

وقد أشار الباحثون Mead،Piaget،Bygosky أنّ المعنى يتولّد من العلاقة مابين الأنا والآخر والشّيء،وباعتباره نتاج لهذه العلاقة مابين الأنا والأخر والشّيء،فإنّ المعنى يملك قوّة التّعبير والإيحاء،فالمعنى الرمزي هو معنى تعبيري كما توضّحه هذه المكوّنات الثلاث للرمز،وأنّ التمثّلات الرمزيّة يمكن أن تعبّر في نفس الوقت عن الفاعلين الاجتماعيين الذّين يشكّلونها والأشياء التّي تشّكل مرجعياتهم والتغّيرات الإجتماعيّة مابين الأشخاص والرموز التّي ينتجونها وتلك التّي يقومون بتفكيك تشفيرها.(Orfali Birgitta, ,2005, 53)

كما تكمن الإمكانية المنطقيّة لفعل المعنى في القدرة على الإحساس بمجمل الأشياء الحاضرة أثناء نشاط الفاعل وقد وضّح هذا Piaget حيث شرح أنّ ظهور القدرة الترميزيّة لدى الطفل مرتبطة ببنائه للأشياء على أنّها مفاهيم وقد زوّدنا Piaget بمرتكزات "نظرية الفاعل العلائقي"بحيث إذا اعتبرنا مثلا عالما من دون أشياء بمعنى عالم مركّز فقط على الفاعل وحده حيث يكون هو الوحيد مصدر المعنى أي أنّه يتواجد في عزلة عالم من دون أشياء،وعليه يصبح الفاعل بحدّ ذاته مستحيلا،فعالم من دون أشياء هو عالم لا يشكّل فيه الفضاء بيئة قويّة

2.1.الأنترنت كأداة للمهمشين:

يُطوّر مستخدمو تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة علاقة جديدة مع وسائل الاتصال ،فالتّعلم غير الشّكلي لثغرات التقنية لايُعَّد بالضّرورة مصدر الرّغبة في التّحكم في التقنية بذاتها بل تظهر إختلافات كبيرة بين عدد من الأفراد الذّين يهتمون بالتقنية باعتبارها موضوع معرفة تتطّلب معارف نظريّة،وبين من يهتّم باعتبارها وسيلة أخرى كما هو الحال غالبا لدى المهتمين بالإعلام الآلي الهواة.

وتترجم التكنولوجيات الجديدة من خلال إمكانية الحصول على الإستقلالية التّي تسمح للمستخدمين من أن يتحوّلوا كليّة إلى أعوان،وتعتبر الأنترنت في هذا الإتجّاه فضاءا جديدا للحريّة.

يحرق الاتصال الالكتروني ككلّ الفضاءات الاجتماعيّة للتبادل وجها لوجه أو للتبادل الشّفوي عبر الهاتف ،ويسمح بالتّحرر من مؤثرات الطبقة الاجتماعيّة،العرق وكذا النوع (Jouet, 2003, 76)

3.1.الجماعة الإفتراضيّة كفضاء عمومي للتعبئة :

إستوجبت فردانية عصر النّور وكذا إقرار سيادة "الديمقراطية البرجوازيّة"تأسيس فضاء عمومي تؤدي فيه وسائل الإعلام دورا مهمًّا لا يمكن استبداله في تشكيل وعمل هذا الفضاء (Bernard Miège, , 1990, 71).

وعليه جاءت إشكالية هذا الفضاء التّي انبثقت من الخطاب الفلسفي حول العصرنة من أجل توليد العديد من التّساؤلات المعاصرة في عدّة ميادين في العلوم الإجتماعيّة اليوم،ففي النظرية السياسيّة أصبح يُنَادى من أجل إعادة التّفكير في تحوّلات الديمقراطية في المجتمعات المعقّدة وفي الأنثروبولوجية الحضريّة ،أصبحت تلهم تيارا بحثيّا ذي توجّه إثنوغرافي وميثودولوجي،وهذه الإشكالية التّي سجّلت فيما بعد في "مدرسة شيكاغو" أصبحت تُعنَى بملاحظة الحياة والعالم الإجتماعي في الأماكن العموميّة الحضريّة،بمعنى الإهتمام بكيف تُبنَى الحياة الإثنوغرافيّة في الفضاء العمومي؟

وقد أخذت هذه الإشكالية السوسيو-سياسيّة في علوم الإعلام والإتصال أهميّة كبيرة وبالأخصّ من خلال القراءات المتعدّدة للمراجع الفلسفيّة ليورغن هابرماس،الذّي إقترح نموذجا إتصاليّا خاصّا بالفضاء العمومي، ويرى هذا الباحث أنّ"الفضاء العمومي البرجوازي هو فضاء يجتمع فيه أفراد خصوصيين كالجمهور،وهذا الأخير طالب بالفضاء العمومي الذّي تمّ تقنينه من طرف الدولة" (Debord, 1992,168)

ويعتبر مفهوم "الجماعة الإفتراضيّة"صعب التّمييز،وقد اعتبر كلّ من Serge Proulx و Guillaume Toth Latzka في مقال لهما بعنوان "الإفتراضية كصنف من أجل تفكير إجتماعي"،أنّ إستخدام هذه المفاهيم "الجماعة" و"الإفتراضي"تبدو متعدّدة المعاني مع تعريفات وقبول يبدو بذاته في بعض الأحيان متناقضا.

فالجماعة يمكن لها أن تكون جمهورا فقط "Public "بمعنى شبكة إجتماعيّة تمّ تشكيلها ،ومن هنا تظهر صعوبة تعريف هذا المفهوم الذّي فرضه التقنيون،الصحفيون ورجال السياسة،أمّا الإفتراضي فيمكن أن يكون تمثّلا مثاليّا وهو تمثّل متكامل للواقع،ويمكن أن يكون أيضا في المقابل خطأ أتوبيّا ،أومزجا بين الواقع والخيال(.Biolchini, 2002, 07)

وتظهر "الجماعات الإفتراضية" في بعض الأحيان كفضاءات عامّة للتعبئة على المستويات المحليّة،الوطنيّة ،الإقليميّة والدوليّة،بحيث تقوم بعض الشبكات المشَّكَلَة على الشّبكة وبالأخص الشّبكات الإجتماعيّة منها بالدفاع عن أحد القضايا ،وفي هذه الحالة يتّم وضع كلّ مصادر الأنترنت للمساهمة (بريد إلكتروني،قوائم المحادثات،فضاء الواب) مع اجتماعات فيزيائيّة.

وإذا ما أردنا إسقاط الإستخدامات السوسيو - سياسية لمواقع التواصل الإجتماعي في الجزائر، نجد أوّلا بأنّ مقاربة الإستخدامات السوسيو- سياسيّة التّي أتى بها Thierry Vedel وAndré vitalis تبدو مهمّة لأكثر من سبب،فهذه المقاربة تحاول دمج فكرة سوسيولوجيا استيراتيجيات العرض الكليّة والجزئيّة في دراستها لمسألة الإستخدام،وذلك يعني أنّها تحاول إيجاد إطار تحليلي يمكّن من فهم عملية التجديد التكنولوجي وعملية التملّك في نفس الوقت.

ويضع الباحث Thierry Vedel تحليله حول الإستخدامات في المجتمع في مفترق يجمع بين أربعة (04) أنواع من المنطق (وهو ما تمّ التعرض إليه بالدراسة في الفصل الثاني من هذه الدراسة)،وتتمثّل هذه الأنواع فيما يلي :منطق تقني ومنطق إجتماعي مترابطين وفق استيراتيجيات التّكوين السوسيولوجي والتقني،ثمّ منطق العرض ومنطق الإستخدام وهما محكومَين بالتمثّلات من منظور سوسيولوجي وسياسي.

فهذه الأنواع الأربعة يُبرهِن عليها في السّياق الجزائري تزايد منطق العرض وكذا منطق الإستخدام ،حيث تشير بعض الإحصائيات إلى وجود تطوّر في منطق إستخدام الأنترنت بالجزائر،حيث إرتفاع عدد مقدمي خدمات

الأنترنت ومواقع الواب وكذا نوادي الأنترنت والمستخدمين. إذ ارتفع عدد مقدمي خدمات الأنترنت من أربعة (04) سنة 2000 إلى خمسة وتسعون (95) موزّع نهاية شهر فيفري سنة 2004،وارتفع عدد مواقع الواب من 20 سنة 2000 إلى 2500 سنة 2004،أمّا نوادي الأنترنت فارتفع العدد من حوالي 100 نادٍ سنة 2000 إلى 4800 شهر فيفري سنة 2004.وقد أثبتت دراسة قام بها كلّ من Edeatic & Dom أجريت على 5944 مستخدم أنترنت سنة 2009 عن طريق إستبيان إلكتروني بأنّ معظم الجزائريين يستخدمون الأنترنت بكثافة،حيث صرّح 74% منهم أنّ الأنترنت أداة لا غنى عنها .

ويشير موقع إحصائيات استخدام الأنترنت interworldstats في القارة الإفريقيّة نهاية سنة 2013 أي31 ديسمبر 2013 إلى ما يلي:

نهاية عام 2013	عدد المستخدمين	نسبة المستخدمين إلى عدد السكان
في إفريقيا	240,146, 482	21,3%
في الجزائر	6, 404,264	16,5%

المصدر: http://www.interworldstats.com/africa.htm

II. خاتمة:

يمكن القول في خاتمة هذه الدراسة أنّ يورغن هابرماس قد صاغ مفهوم "الفضاء العمومي" في مؤلفه "الفضاء العمومي،أركيولوجية الدعاية باعتبارها مكوّنا أساسيّا للمجتمع البرجوزاي"في أولى اهتماماته المبكرة بالفلسفة السياسيّة،وهو المفهوم الذّي جعل منه هابرماس مدخلا جوهريّا إلى النظرية السياسيّة،إذ يتساءل هابرماس عن الظروف الاجتماعيّة التّي تسمح بحوار عقلاني نقدي حول قضايا الشأن العام،وهي قضايا يناقشها أشخاص يهدفون إلى اعتماد الحجّج في اتخّاذ القرارات بدلا من اعتماد مبادئ سلطويّة،وتعتبر هذه المبادرة في الوقت ذاته بحثا عن معايير مثاليّة وفحصا للتّاريخ الفعلي،من هذا المنطلق فهابرماس فكّر في خلق فضاء عمومي كفيل بامتحان الرأي العام على الصّعيد السياسي.

إنّ التفكير في الفضاء العمومي من زاوية زوال الفصل بين ما هو خاص وعمومي حرّر تعريف هذا المجال من ثقله ووظيفته السياسيّة،وأعاد تعريفه بصيغ مختلفة وعلى أسس جديدة نذكر منها أنّ المجال العمومي "إطار ميدياتيكي"،تقوم بموجبه المنظومة المؤسساتيّة والتكنولوجيّة الخاصّة في المجتمعات ما بعد الصناعيّة بتقديم مختلف جوانب الحياة الإجتماعيّة إلى الجمهور.

وقد آمنت نانسي فرايزر،بإمكانية أن تتحوّل شبكة الأنترنت إلى مجال عمومي قويّ،بحيث تصبح منصّاتها المختلفة مسيّرة ذاتيا وتمارس الديمقراطية المباشرة أو شبه المباشرة في مواقعها،ففيها يشارك كلّ المنخرطون في مؤسسة جماعيّة في المناوشات والمداولات ويحددّون تصّورها وإدارتها.

إنّ المجتمعات الناميّة التّي سعت إلى إقامة ديمقراطية الواجهة أو ديمقراطية "مراقبة"،عملت على إقصاء المعارضة السياسيّة بمختلف السّبل في ظّل تكلّس الأحزاب السياسيّة التّي تعاني من فقر في الفكر السياسي وقطيعة مع ناخبيها،بعد أن تحوّلت إلى تجمّع للمصالح الضيّقة،هذا إضافة إلى بسط هيمنة

الخطاب الإعلامي الرسمي،والتضييق على الرأي المخالف إن لم تصادره،ناهيك عن اللّجوء إلى حجّة القوّة للفصل في النّزاع حول السّلطة.

ففي ظلّ هذه السياقات،برز تمثُّل لمواقع التواصل الإجتماعي كمنابر جديدة عن الأحزاب السياسيّة وأداة للتّمرد على الخطاب الإعلامي الرسمي في ظلّ ارتفاع عدد مستخدمي الأنترنت ومنتسبي هذه المواقع في العديد من الدول الناميّة،والمنطقة العربيّة تحديدا،وتزايد الوقت الذّي يُصْرَف في استخدامها اليومي،الذّي فاق المدّة التّي تخصّص لمشاهدة التلفزيون يوميا،وإن كان الإعتماد على مواقع التواصل الاجتماعي كمصدر إخباري قد زاد،إلاّ أنّ الفضاء الافتراضي الذّي أنشأته لم يعمل على ترقية النقاش السياسي إن لم يميّعه ويحرّفه.

إنّ النأي عن "نظرية القذيفة السحريّة"لمواقع التواصل الإجتماعي أي "الحتمية التكنولوجية" يقتضي تجنّب الإعتقاد بقوّة هذه المواقع المحايثة التّي تمكنّها من إنشاء مجال عمومي أو هدمه،ويتّطلب فهم نشاط هذه المواقع ضمن شروط وسياقات استخداماتها،لذا من الصّعب فصلها عن تقاليد الاتصال المتوارثة عبر الأجيال وعن التّاريخ السّياسي لهذه البلدان،الذّي يؤكّد غياب ثقافة الحوار والنقاش والحجاج أي أنّ الأطر التمثيليّة لم تبلغ مستوى الحلبة التّي يدار فيها النقاش بكلّ ديمقراطيّة ويتّم التداول حول الآراء التّي تتصادم بحججها المتعارضة،لذا نجد بأنّ مواقع التواصل الإجتماعي قد أفلحت في ابتكار أشكال للتّكافل الإجتماعي والتّعاون،وتخريب الخطاب السياسي والإعلامي الرسمي دون أن تفلح في بناء مجال عمومي معارض.

الإحالات والمراجع:

- *Dahlgren, Peter et autres. (1994). Espaces publics en images. Hermès la Revue, n°/1-2,*
- *Dahlgren ,Peter.(2000). l'espace public et l'internet. Structure, espace et communication, Réseaux n°100, CENT/Hermès Science publications,.*
- بن مرسلي ،أحمد .(2004). مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والإتصال .الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة .
- طعيمة ،رشدي .(1989).تحليل المحتوى في العلوم الإنسانيّة .القاهرة: دار الفكر العربي.
- *Efthymios, Constantinides and Stefan, J.Fountain . (2008). « Web 2.0 (conceptual foundations and marketing issues »,Journal of direct data and digital marketing practice ,VL9,N°3,IDM,*
- فضل الله ،وائل مبارك خضر .(2010). أثر الفيس بوك على المجتمع .السودان:مدونة شمس النهار.
- *Christian, Prell.(2012). Social network analysis (History, theory and methodology). London : Sage.*
- السويدي ،جمال سند .(2013).وسائل التواصل الإجتماعي ودورها في التحوّلات المستقبليّة : من القبيلة إلى الفيسبوك .دون ذكر دار النشر،الطبعة الأولى.
- حيدوري، عبد السّلام.(2000).الفضاء العام ومطلب حقوق الإنسان – هابرماس نموذجا-.تونس:دار نهى.
- *Habermas ,Jürgen.(1993). l'espace public, archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, traduit par Marc B de Launay. Paris : édition Payot.*
- حيدوري،مرجع سبق ذكره،ص.63.
- الأشهب ،عبد السلام.(2013).أخلاقيات المناقشة في فلسفة التواصل لدى هابرماس.الأردن:الأردنيّة للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى.
- حيدوري،مرجع سبق ذكره،ص.82.
- *Habermas ,Jürgen.(1996) La paix perpétuelle, le bicentenaire d'une idée kantienne, traduit par Rainer Rochlitz, Ed Cerf, Paris,.*
- *Habermas ,Jürgen. l'espace public, archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgoise, op.cit, p.112.*
- *Philipe, Chaniel.(1982).Espace public, science sociale et démocratie, Quaderni, n°18, Automne*
- بومنير ،كمال.(2013).مقاربات في الخطاب النقدي لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركايمر إلى هارتمورت روزا الأردن:دار الأيّام للنشر والتوزيع.
- *Dahlgren ,Peter,(2000). l'espace public et l'internet. Structure, espace et communication, Réseaux n°100, CENT/Hermès Science publications.*
- *Wolton, Dominique.(1992) « Les contradictions de l'espace public médiatisé », Hermès.*
- *Wolton, ,op.cit,p.114*
- *Muccheilli, Alex. Les nouvelles méthodes d'étude de communication, PUF, France, p.115.*
- *Orfali Birgitta, « La fonction symbolique et la construction des représentations : la dynamique communicationnelle ego/alter/objet », traduit de l'anglais, Hermès n°41,2005*
- *Orfali, ibid, p.53*
- *Jouet, Josiane.(2003). « Technologie de communication et genre : des relations en construction », Réseaux, n°120, CENT édition, France.*
- *Miège ,Bernard.(1990).Medias et communication en Europe, PUG, France.*
- *Debord, Gury.(1992)La société de spectacle, édition Gallimand, Paris, France.*
- *Biolchini ,Estelle.(2002). De la recherche sur les usages des TIC à la communication virtuelle : réflexions à partir d'un texte de Josiane Jouet : Retour critique sur la sociologie des usages, séminaire GPB.*
- *(consulté le 16 novembre 2019 à 19h04)http://www.interworldstats.com/africa.htm*